شعيب عليه السلام خطيب الأنبياء

معجزة شعيب:

1 - فصاحة اللسان، وقوة الحجة.

* * * * * * * * * * * * *

شعيب عليه السلام

كان شعيب معاصرا لنبى الله موسى عليه السلام وهو عربى من سلالة إسماعيل، فقد بُعث من العرب خمسة أنبياء هم هود، صالح، إسماعيل، شعيب وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقال له خطيب الأنبياء لأنه كان أفصحهم قبل أن يبعث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولبراعته فى إقامة الحجة على قومه ودحض حججهم وشعيب من أهل مدين وهى مدينة خضراء لكثرة الاشجار فيها، فقد كانوا من عبدة الأوثان ولذا سمى قومه أصحاب الأيكة، وكان شعيب يرعى الأغنام وعنده أغنام كثيرة وأما أهل مدين فقد كانوا يظلمون شعيبا ويظلمون أنفسهم ومن ظلمهم أنهم كانوا يبخسون الناس فى الكيل والميزان فكان شعيب ينصحهم بأن يلتزموا الصدق والاستقامة لكى تنزل عليهم البركة وتشملهم الرحمة ونتيجة للأذى الذى لاقاه أهل الشام من أصحاب الأيكة فقد آمن بعض منهم بشعيب وكان بينهم وبين أهل مدين خلاف.

وعندما بعث شعيب آمن به ثلة قليلة من قومه وأما الباقون فقد استمروا على ضلالتهم.

قال تعالى فى كتابه الكريم: **{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**

ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [1].

والسور التى تعرضت لقصة شعيب هى: الأعراف، هود، الشعراء، العنكبوت وغيرها حيث أن الآيات كثيرة والمضمون فى جميعها متقارب ومدين اسم قريته وفيها قبيلته وأب القبيلة هو مدين بن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه وكذلك القرية، وشعيب من تلك القبيلة، ولذا قال سبحانه وتعالى{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} إلخ أى وأرسلنا شعيبا أخاهم إلى مدين وقد بعث أيضا إلى أصحاب الأيكة وهم أيضا أصحابه، وقد ذكرنا أن الأيكة فى قرب مدين وهى بلاد كثيرة المياه والأهوار والأشجار، فأتاهم بما أتى به جده الخليل عليه السلام من قبل ربه العلى القدير عظمت كبرياؤه، أتاهم بأحكام شرعه وقوانينه العادلة فأمرهم بالعدل والإنصاف فى وزنهم وكيلهم فلا يبخسون فى الوزن حين بيعهم لغيرهم ولا يطففون فى الكيل والوزن فيستوفون زائدا حين يبتاعون ويأخذون من غيرهم وأن لا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها، وقد بذلوا جهدهم فى إبطال دعوة شعيب عليه السلام وكانوا يقولون له:{يَا شُعَيْبُ مَا

(1) سورة الأعراف الآيات 85 - 88.

نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ} وكانوا يحتقرون شأنه بقولهم لـه:{وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا} ثم يهددونـه بقولهم لـه:{وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَـا بِعَزِيزٍ} فلما ضايقهم بحججه وأبطل مزاعمهم اجتمع الملأ منهم وهددوه والذين آمنوا معه بإخراجهم من القرية إذا لم يرجعوا عما هم عليه ويدخلون فى ملتهم ودين قومهم بقولـه: ولو كنا كارهين، إنا نكون قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم ودينكم بعد أن نجانا الله منها بالهداية إلى دين الحق، وإنما يكون ذلك إن أراد الله أن يخذلنا ويبعدنا عن داره وجواره [1].

أما عشيرة شعيب فقد كانوا مكرمين وأصحاب سمعة طيبة فكان قومه يقولون لـه: لولا عشيرتك لأخرجناك من المدينة فأنت تكذب علينا بالرغم من كونك فرد منا - فإذا كنت صادقا فيما تقول فأتى لنا بسحابة تظلل علينا من الشمس وكلما جاء السحاب فكانوا يتحججون بأن يجب أن يصحبنا أين ما ذهبنا وكانوا يختلفون الأقاويل والذرائع ليؤذوا شعيبا ولم ينتهوا من الظلم والفساد، وبعد أن أتم شعيب الحجة عليهم أنذرهم بنزول العذاب عليهم، ولكن أصحاب الأيكة كانوا فى ضلال مبين، ولذلك أصروا على عنادهم بالرغم من إنذاره لهم، وأخيرا أخرجوا شعيبا ومن اتبعه من بينهم فاستحقوا العذاب حيث نزلت عليهم صاعقة من النار فأحرقتهم، بعدها قام شعيب ومن اتبعه ببناء مساكن لهم بجوار مدين وعاش هناك حتى جاءه موسى من مصر حيث أصبح شيخا كبيرا طاعنا فى السن.

(1) الأنبياء حياتهم وقصصهم، العاملى.